

السيرة النبوية للبراعم

(٢٠)

مُفَاوِضَاتٌ وَ إِفْرَاءَاتٌ... وَ لَكِن!

الدكتور

محمد عمر الحاجي

محمد عمر الحاجي

محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

« ... وَاللَّهِ يَا عَمَّ...!! »

وَوَخَّافَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ سُرْعَةِ انْتِشَارِ
الإِسْلَامِ بَيْنَ النَّاسِ ، فَتَشَاوَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ ،
ثُمَّ اتَّفَقُوا عَلَى إِرْسَالِ وَفِدٍ مِنْ كِبَارِ أَهْلِ قُرَيْشٍ
إِلَى عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَجْلِ التَّفَاوُضِ .

وَبِالْفِعْلِ ، أُرْسِلُوا وَفِدَاءً إِلَى أَبِي طَالِبٍ ،
وَقَالُوا لَهُ : يَا أَبَا طَالِبٍ ! إِنَّ لَكَ سِنًّا ، وَشَرَفًا ،
وَمَنْزِلَةً فِينَا ، وَإِنَّا قَدْ اسْتَنْهَيْنَاكَ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ
فَلَمْ تَنْهَهُ عَنَّا ، وَإِنَّا وَاللَّهِ لَا نَصْبِرُ عَلَى هَذَا مِنْ

شَتَمِ آبَائِنَا ، وَتَسْفِيهِ أَهْلَامِنَا ، وَعَيْبِ آلِهَتِنَا
حَتَّى تَكْفُهُ عَنَّا ، أَوْ نُحَارِبَهُ ، ثُمَّ انصَرَفُوا .

فَبَعَثَ أَبُو طَالِبٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ يَسْتَدْعِيهِ ،
فَلَمَّا جَاءَهُ ؛ قَالَ :

يَا بَنَ أَخِي! إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَاؤُونِي ، فَقَالُوا
كَذَا ، وَكَذَا ، فَأَبْقِ عَلَيَّ ، وَعَلَى نَفْسِكَ ، وَلَا
تَحْمِلْنِي مِنَ الْأَمْرِ مَا لَا أُطِيقُ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا عَمُّ! وَاللَّهِ! لَوْ
وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي
عَلَى أَنْ أَتْرِكَ هَذَا الْأَمْرَ ، مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى
يُظْهِرَهُ اللَّهُ أَوْ أَهْلِكَ دُونَهُ » .

ثُمَّ بَكَى ، وَمَشَى ، فَنَادَاهُ عَمُّهُ ، وَقَالَ لَهُ :

يَا بْنَ أَخِي! اذْهَبْ ، فَقُلْ مَا أَحْبَبْتَهُ ، فَوَاللَّهِ لَا
أَسْلِمُكَ لِشَيْءٍ أَبَدًا!

* * *

فَمَاذَا تُرِيدُ يَا مُحَمَّدُ ؟!

وَذَاتَ لَيْلَةٍ اجْتَمَعَ صَنَائِدُ قُرَيْشٍ عِنْدَ
الْكَعْبَةِ ، وَتَدَارَسُوا سُرْعَةَ انْتِشَارِ الْإِسْلَامِ بَيْنَ
النَّاسِ ، ثُمَّ اتَّفَقُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ عَلَى إِزْسَالِ
وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وَلَمَّا جَاءَ إِلَيْهِمْ ، وَجَلَسَ مَعَهُمْ ، قَالَ
أَحَدُهُمْ : يَا مُحَمَّدُ! إِنَّا قَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ لِنُكَلِّمَكَ ،
وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ أَدْخَلَ عَلَيَّ
قَوْمِهِ مِثْلَ مَا أَدْخَلْتَ عَلَيَّ قَوْمِكَ ، لَقَدْ شَتَمْتَ
الْآبَاءَ ، وَعَبَيْتَ الدِّينَ ، وَشَتَمْتَ الْآلِهَةَ ،
وَسَفَهْتَ الْأَحْلَامَ ، وَفَرَّقْتَ الْجَمَاعَةَ ، فَمَا بَقِيَ

أَمْرٌ قَبِيحٌ إِلَّا قَدْ جِئْتَهُ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ... .

فَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا جِئْتَ بِهَذَا الْحَدِيثِ تَطْلُبُ بِهِ
مَالاً ، جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا
مَالاً .

وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا جِئْتَ بِهَذَا الْحَدِيثِ تَطْلُبُ بِهِ
الشَّرَفَ فِينَا ، فَخُنْ نَسْوَدُكَ عَلَيْنَا .

وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ مُلْكاً مَلَكْنَاكَ عَلَيْنَا .

وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رَيْئاً - أَيْ : نَوْعاً
مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ ، وَالْجِنِّ - فَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ ؛
بَدَلْنَا لَكَ أَمْوَالِنَا فِي طَلْبِ الطَّبِّ لَكَ حَتَّى نُبْرِئَكَ
مِنْهُ ، أَوْ نُعْذَرَ فِينِكَ... !؟

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا بِي مَا
تَقُولُونَ ، مَا جِئْتُ بِمَا جِئْتُمْ بِهِ أَطْلُبُ

أَمْوَالِكُمْ ، وَلَا الشَّرَفَ فِيكُمْ ، وَلَا الْمُلْكَ عَلَيْكُمْ ،
وَلَكِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ رَسُولًا ، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ
كِتَابًا ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ لَكُمْ بَشِيرًا أَوْ نَذِيرًا ،
فَبَلَّغْتُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي ، وَنَصَحْتُ لَكُمْ ، فَإِنْ
تَقَبَّلُوا مِنِّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ ، فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَإِنْ تَرَدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرْ
لَأْمْرِ اللَّهِ ، حَتَّى يَحْكَمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ .

* * *

طَلَبَاتِ تَعْجِزِيَّةٍ

وَلَمَّا يَسُؤُوا مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ؛ اقْتَرَحَ بَعْضُهُمْ
أَنْ يَطْلُبُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَلَبَاتٍ تَعْجِزِيَّةً!
فَانْتَضَرُّوهُ ﷺ حَتَّى نَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ
وَطَافَ حَوْلَ الْكَعْبَةِ ، ثُمَّ جَلَسَ ، فَجَاؤُوا إِلَيْهِ ،
فَقَالَ أَحَدُهُمْ : إِنْ كُنْتَ يَا مُحَمَّدُ نَبِيًّا حَقًّا ،
فَادْعُ رَبَّكَ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا جَبَلَ الصِّفَا ذَهَبًا .

قَالَ : « وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ !؟ »

قَالُوا : لَا !!

وَقَالَ آخِرُ : فَادْعُ رَبَّكَ أَنْ يُسَيِّرَ هَذِهِ
الْجِبَالَ ، وَيَبْعَثَ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِنَا ،
وَأَجْدَادِنَا ، وَيَفْجُرَ لَنَا الْأَنْهَارَ ، وَيُسَخِّرَ لَنَا
الرَّيْحَ وَالْبَحْرَ...!

وقال ثالثٌ : سَلْ رَبَّكَ يَا مُحَمَّدٌ! أَنْ يَبْعَثَ
مَعَكَ مَلَكًا يُصَدِّقُكَ بِمَا تَقُولُ ، وَسَلَّهُ فَلْيَجْعَلْ
لَكَ جَنَانًا ، وَقُصُورًا ، وَكُنُوزًا مِنَ الذَّهَبِ
وَالْفِضَّةِ ، يُغْنِيكَ بِهَا عَمَّا نَرَاكَ تَبْتَغِي ، فَإِنَّكَ
تَقُومُ بِالْأَسْوَاقِ كَمَا نَقُومُ ، وَتَلْتَمِسُ الْمَعَاشَ
كَمَا نَلْتَمِسُهُ!!

وَقَدْ ذَكَرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ نَمَازِجَ مِنْ طَلَبَاتِ
الْمُشْرِكِينَ التَّعْجِيزِيَّةِ ؛ لِتَكُونَ دَلِيلًا لِكُلِّ
الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَعَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ

وَالذُّهُورُ ، مِثَالُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَقَالُوا مَا لِي
 هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا
 أَنْزَلَ إِلَيْنَا مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ
 كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ
 الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾ أَنْظِرْ
 كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
 سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ .

* * *

(١) سورة الفرقان : ٧-١٠ .

المُقَاطَعَةُ وَالْحِصَارُ!!

وَانْتَقَلَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى وَسِيلَةٍ جَدِيدَةٍ
لِلضُّغْطِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، فَتَنَادُوا إِلَى اجْتِمَاعِ
كَبِيرٍ ، وَبَعْدَ مَنَاقَشَاتٍ وَتَدَاوُلَاتٍ لِلآرَاءِ فِيمَا
بَيْنَهُمْ أَجْمَعُوا عَلَى مُقَاطَعَةِ الْمُسْلِمِينَ وَمَنْ
نَاصَرَهُمْ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ، وَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ .

وَكَانَتْ أَهَمُّ مَحَاوِرِ الْمُقَاطَعَةِ مَا يَلِي :

أَلَا يَتَّعَامَلُوا مَعَهُمْ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ
وَالتَّجَارَةِ .

- أَلَا يُتَزَوَّجُوا مِنْهُمْ ، وَلَا يُزَوَّجُوهُمْ .

- أَنْ يُحَافِظُوا عَلَى الْمُقَاتَعَةِ ، وَلَا
يَسْمَحُوا لِأَحَدٍ بِنَقْضِهَا .

وَلِذَلِكَ عَمَدُوا إِلَى كِتَابَةِ تِلْكَ الْبُتُودِ عَلَى
صَحِيفَةٍ ، ثُمَّ تَعَاهَدُوا ، وَتَوَاتَفُوا عَلَى ذَلِكَ ،
ثُمَّ عَلَّقُوا تِلْكَ الصَّحِيفَةَ عَلَى حَائِطِ الْكَعْبَةِ .

... وَلَجَا الْمُسْلِمُونَ ، وَبَنُو هَاشِمٍ ، وَبَنُو
عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِلَى شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ ، وَاشْتَدَّتِ
الْمُضَايَقَاتُ ، وَطَالَ الزَّمَنُ ، حَتَّى قَارَبَ
الْحِصَارُ مُدَّةَ ثَلَاثِ سِنَوَاتٍ ، حَيْثُ قُطِعَتْ عَنْهُمْ
الْأَقْوَاتُ ، وَالْأَرْزَاقُ .

وَكَانَ صَنَادِيدُ قُرَيْشٍ يَسِيرُونَ لَيْلًا فِي
أَرْزَاقِ مَكَّةَ ، لِمَنْعِ أَيِّ أَحَدٍ مِنْ مُسَاعَدَةِ

المُسْلِمِينَ ، كَأَن يَجْلُبَ لَهُمُ الطَّعَامَ ، وَمَا إِلَى
هُنَاكَ!!

مِثَالِ ذَلِكَ : أَنَّ عَدُوَّ اللَّهِ أَبَا لَهَبٍ كَانَ إِذَا
قَدِمَتْ قَافِلَةٌ تِجَارِيَّةً إِلَى مَكَّةَ ، وَجَاءَ بَعْضُ
المُسْلِمِينَ لِيَشْتَرِيَ جُزْءًا مِنَ التِّجَارَةِ ، وَقَفَ
أَبُو لَهَبٍ بِالنَّاسِ لِيَقُولَ : يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ!
غَالُوا عَلَى أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ، حَتَّى لَا يُدْرِكُوا
مَعَكُمْ شَيْئًا ، فَقَدْ عَلِمْتُمْ مَالِي وَوَفَاءَ ذِمَّتِي ،
فَأَنَا ضَامِنٌ أَلَا خَسَارَةٌ عَلَيْكُمْ .

فَيَزِيدُونَ عَلَيْهِمْ فِي السَّلْعَةِ ، مَا قِيمَتُهُ
أَضْعَافًا حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى أَطْفَالِهِ ، وَهُمْ يَبْكُونَ
مِنَ الْجُوعِ ، وَلَيْسَ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ يُطْعِمُهُمْ بِهِ!
وَيَعْدُو التُّجَّارُ عَلَى أَبِي لَهَبٍ ، فَيُرْبِحُهُمْ

مِمَّا اشْتَرَوْا مِنَ الطَّعَامِ وَاللَّبَاسِ ، حَتَّىٰ جُهَدَ
الْمُؤْمِنُونَ ، وَمَنْ مَعَهُمْ جُوعًا ، وَعُرْيًا .

لَكِنْ يَشَاءُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ تَأْتِي دُودَةٌ عَلَى
الصَّحِيفَةِ ، فَتَأْكُلَ غَالِبِيَّتَهَا إِلَّا مَا وَرَدَ فِيهَا مِنْ
أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى .

عِنْدَهَا أَيَقْنُ الْمُشْرِكُونَ عَدَمَ جَدْوَى تِلْكَ
الْمُقَاطَعَةِ ، فَانْقَضُوا الصَّحِيفَةَ وَأَنْتَهتِ
الْمُقَاطَعَةُ...

وَأَخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

* * *